في سبيل اللّه حتّى يرجع)[١].

وعن أبي الدّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «من رأى أنّ الغدوّ إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله»[٢].

قال معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «تعلَّموا العلم، فإنَّ تعلّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والمصبِّر على البأساء والضراء، يرفع الله به أقواماً؛ فيجعلهم في الخير قادة سادة، هداة يقتدى بهم، أدلة في الخير، تقتصى آثارهم وترمق أفعالُهم، يبلغ العبد به منازل الأبرار والدرجات العلا، والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الله عَزَّوَجَلَّ، وبه يعبد، وبه يوحد ويمجد، وبه يتورع، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء»[٣].

وعن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «العالم أعظم أجراً من الصّائم القائم الغازي في سبيل الله، فإذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثُلْمَة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة»[٤]. وذلك لدوره الكبير في الدعوة إلى الله تعالى.

وعن أبي ذرٍّ وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالا: «باب من العلم نتعلَّمه أحبُّ إلينا من ألف

---

(١) جامع الترمذي، كتاب العلم، باب فضل العلم (٢٦٤٧) وقال الترمذي: حسن غريب، وأخرجه: الطبراني في الصغير ١/ ٢٣٤ (٣٨٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره برقم (٨٨).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٩.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٣٩. وقال ابن القيم: «رواه الخطيب وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل ورواه أبو نعيم في المعجم من حديث معاذ مرفوعاً إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولا يثبت وحسبه أن يصل إلى معاذ» انتهى. انظر: مفتاح دار السعادة ١/ ١٢٠، وأخرجه الآجري في أخلاق العلماء برقم (٢٢).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، رقم: (٣٤٧).

ركعة تطوُّع»(١)، وذلك لأنَّ نفع العلم يعمُّ صاحبه والمسلمين، والنَّوافل المذكورة مختصّة به، ولأنَّ العلم مصحِّح، فغيره من العبادات مفتقر إليه، ولا ينعكس، ولأنَّ العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه، والنّوافل تنقطع بموت صاحبها.

وعن حبان بن موسى قال: عوتب ابن المبارك رحمهما الله تعالى، فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: «إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم؛ احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم»(٢).

المطلب الرابع
كلام ابن القيم عن أهمية وفضل الدعاة

قال ابن القيم: «إن أفضل منازل الخلق عند الله منزلة الرسالة؛ فـــ ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وكيف لا يكون أفضل الخلق عند الله من جعلهم وسائط بينه وبين عباده؛ في تبليغ رسالاته، وتعريف أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه،.. وجعل أشرف مراتب الناس بعدهم مرتبة: خلافتهم ونيابتهم في أممهم، بأنهم يخلفونهم على مناهجهم وطريقهم؛ من نصيحتهم للأمة، وإرشادهم الضال، وتعليمهم الجاهل، ونصرهم المظلوم، وأخذهم على يد الظالم، وأمرهم بالمعروف وفعله، ونهيهم عن المنكر وتركه، والدعوة إلى الله بالحكمة للمستجيبين، والموعظة

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر برقم (٩٧).
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠/ ١٦٠.

الحسنة للمؤمنين الغافلين، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين المعرضين»[(١)].

«فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس. وهكذا المبلِّغون عنه من أمته؛ لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم لهم، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن لا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه»[(٢)].

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٧٨.

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم ص ٣٣٩.

الفصل الثاني

مقومات الدعاة

ويشتمل على تمهيد، وسبعة مقومات:

تمهيد: حول مفهوم المقومات.

المقوم الأول: الإخلاص.

المقوم الثاني: سلامة العقيدة.

المقوم الثالث: الاتباع لا الابتداع.

المقوم الرابع: العلم الشرعي.

المقوم الخامس: الفهم الصحيح.

المقوم السادس: الثقة في الإسلام.

المقوم السابع: التجرد للحق.

تمهيد
حول مفهوم المقومات

لاشكَّ أن الداعي إلى الله لن يكون ناجحاً في القيام بالدعوة إلى الله موفقاً مسدداً إلا حين يلتزم بالمقوِّمات التي تجعله مستقيماً معتدلاً، بلا إفراط ولا تفريط.

ومعرفة الداعي للمقوِّمات التي تجعله ناجحاً في دعوته من أهم المهمّات؛ فذلك موقوف على مدى التزامه بتلك المقوّمات ونصيبه منها.

ومقومات الدعاة التي تعينهم على الدعوة إلى الله كثيرة؛ سنقتصر على أصولها، التي تتفرّع منها بقية المقوِّمات الأخرى[(١)].

وقبل الدخول في تعداد مقومات الدعاة نبين مفهوم المقومات:

فالمقومات: جمع مقوم، اسم فاعل من قوَّمَ[(٢)].

والقِوامُ: نظام الأمر، وعماده، وملاكه الذي يقوم به. يُقالُ: هذا قِوام الدين، وقِوام الحق: أي الذي يقوم به. ويقال: فلان قِوام أهل بيته: عمادهم. ويقال: قوّم الشيء تقويماً: أزال اعوجاجه وعدَّله، وقِوامُ كل شيء ما استقام به.. وقوَّمتُ الشيء فهو قويم: أي مستقيم[(٣)].

والمقَوِّم: مَنْ يُعطي قيمةً لعمل أو شخص أو مجموعة، من فرد أو مجموعة «خبراء مقوِّمون.

(١) للاستزادة ينظر كتاب: كتاب مقومات الداعية الناجح أ.د سعيد بن وهف القحطاني.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٨٧٩.

(٣) ينظر: لسان العرب ١٢/ ٥٠٤، والقاموس المحيط ص١٤٨٧، ومختار الصحاح ص٢٣٣، والمعجم الوسيط ٢/ ٧٦٨، وجمهرة اللغة لابن دريد٣/ ١٦٦.

والمراد به: كلُّ ما يتألَّف أو يتركَّب منه جسم أو جهاز أو مشروع، من عناصر أساسيّة تسهم في قيامه ووجوده وفاعليّته[١].

ومن خلال ما سبق يتبين أن:

مقوِّمات الدعاة: أي المعدِّلات التي تُعدّل الدعاة، وتقيم اعوجاجهم، وتنظم شؤونهم فتجعلهم: مستقيمين، معتدلين، حكماء، منضبطين في كل أمورهم، ناجحين في دعوتهم إلى الله.

أو هي: مجموعة العناصر الأساسية التي تساهم في بروز الدعاة ونهوضهم بفاعلية كبيرة.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٨٧٩.

المقوم الأول
الإخلاص

أولاً: أهمية الإخلاص في حياة الدعاة:

الإخلاص لله تعالى في هدف الدعاة إلى الله من جميع أعمالهم، سواء عباداته أو تعلمه أو تعليمه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

قال ابن سعدي: «﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب. ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ أي: لا يرائي بعمله بل يعمله خالصاً لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه، ونيل رضاه»[1].

أما قوله تعالى: ﴿أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخلصه وأصوبه، قيل يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً، لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً»[2]، فالخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون متبعاً فيه الشرع والسنة.

وقال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٩.

(٢) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا ص ٥٠، ٥١، حلية الأولياء ٨/ ٩٥.

دنيا يصيبها؛ أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)[(١)].

فبالإخلاص يصلح دين الداعية وتصلح أهدافه، ويعينه الإخلاص على تحمل مشاق الدعوة إلى الله والاستفادة من الفرص.

وهو أمر شاق كما يقول سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي»[(٢)]. لأن آفات الإخلاص كثيرة، والشهوات والمطامع لا تنقطع، فكم ممن خرج مخلصاً ولكن تحولت النية وتقلبت به الأهواء.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يا رسول الله: أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر؟ قال: **(لا يا بنت أبي بكر** -أو: **يا بنت الصدّيق- ولكنه الرجل يصوم، ويتصدَّق، ويصلِّي وهو يخاف ألا يُتقبَّل منه)**[(٣)].

ويُذكر عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال:** «لئن أستيقن أن الله تقبَّل لي صلاة واحدة أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: **﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾** [المائدة: ٢٧]»[(٤)]، فإذا أراد الداعية التوفيق في حياته عامة فعليه بالإخلاص، وإذا أراد معه نشر دين الله والدعوة إليه فعليه بالإخلاص، ففي الإخلاص البركة في الجهد والتوفيق لكل أمر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدْء الوحي، باب كيف كان بدأ وحي النبي ﷺ (٢)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ **(إنما الأعمال بالنية)** وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (١٩٠٧).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٦٨.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوقي في العمل (٤١٩٨)، جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون (٣١٧٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

ثانياً: من مظاهر إخلاص الدعاة[(١)]:

١- انطلاق أعمال الدعوة من شعور غامر بالرحمة والشفقة على عباد الله أجمعين.

٢- الفرح بكل كفاءة تبرز في ساحة الدعوة إلى الله.

٣- طلب الحق وتعظيم أهله، من كانوا وحيث كانوا.

٤- الصبر والصفح عن المدعوين والمخالفين.

٥- العدل والورع والتثبت عند الحكم على الرجال والطوائف.

ثالثاً: من مظاهر وآثار ضعف إخلاص الدعاة:

١- الانفصال بين العلم والعمل.

٢- هيجان الرعونات النفسية والحظوظ الشخصية.

٣- الاختلاف والافتراق.

٤- التعصب للأشخاص والمذاهب والطوائف.

٥- حب الدنيا والسقوط في فتنتها.

رابعاً: أسباب تحصيل الإخلاص ودفع الرياء:

١- معرفة عظمة الله تعالى وأسمائه، وصفاته، وأفعاله؛ فإن العبد إذا عرف أن الله وحده هو الذي ينفع ويضرُّ، ويُعزُّ ويُذلُّ، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، إذا عرف ذلك، وعلم بأن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فسيُثمرُ ذلك إخلاصاً وصدقاً مع الله، فلابد من معرفة أنواع التوحيد كلّها معرفةً صحيحة سليمة.

٢- معرفة ثمرات الإخلاص وفوائده في الدنيا والآخرة، فالإخلاص سبب للنجاة

(١) هذه النقطة والتي تليها من كتاب معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص٥٢- ٥٥ باختصار.

من عذاب الله، ورفْع المنزلة والدرجة في الدنيا والآخرة، والسلامة من الضلال في الدنيا، والفوز بحب الله للعبد، وحب أهل السماء والأرض، والصِّيت الطيِّب، وتفريج كروب الدنيا والآخرة، والطمأنينة والشعور بالسعادة والتوفيق، وتحمّل المتاعب والمصاعب، وتزيين الإيمان في القلوب، واستجابة الدعاء، والنعيم في القبر والتبشير بالسرور، والله الموفق سبحانه[(١)].

٣- الخوف من خطر العمل للدنيا والرياء المحبط للعمل، فقد قال النبي ﷺ: **(إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)**، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: **(الرياء؛ يقول الله تعالى لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)**[(٢)].

٤- الإكثار من أعمال الخير والعبادات غير المشاهدة، وإخفاؤها: كقيام الليل، وصدقة السر، والبكاء خالياً من خشية الله، وصلاة النوافل، والدعاء للإخوة في الله بظهر الغيب، والله ﷻ يحب العبد التقيّ الخفيّ.

٥- عدم الاهتمام بذمِّ الناس ومدحهم؛ لأن ذلك لا يضرُّ ولا ينفع، بل يجب أن يكون الخوف من ذمِّ الله، والفرح بفضل الله.

٦- الخوف من سوء الخاتمة، فعلى العبد أن يخاف أن تكون أعمال الرياء هي خاتمة عمله، ونهاية أجله، فيخسر خسارة فادحة عظيمة؛ لأن الإنسان يُبعث يوم القيامة على ما مات عليه، والناس يُبعثون على نياتهم، وخير الأعمال خواتمها.

---

(١) انظر: كتاب الإخلاص للعوايشة، ص٦٤-٦٦.

(٢) مسند أحمد، ٣٩/ ٣٩ (٢٣٦٣٠)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

٧- مصاحبة أهل الإخلاص والتقوى؛ فإن الجليس المخلص لا يعدمك الخير، وتجد منه قدوة لك صالحة، وأما المرائي والمشرك فيحرقك في نار جهنم إن أخذت بعمله.

٨- القراءة في سير السلف الصالح، والدعاة المخلصين، ومواقفهم في الإخلاص، وثمرة إخلاصهم في الدعوة.

٩- الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، وقد علَّمنا رسول الله ﷺ ذلك فقال: **(يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل)**، فقال بعض الصحابة: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: **(قولوا: اللهمّ إنا نعوذ بك أن نُشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لِمَا لا نعلمه)**[1].

١٠- عدم الطمع فيما في أيدي الناس؛ فإن الإخلاص لا يجتمع في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما في أيدي الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس مما في أيدي الناس، ويسهِّل ذبح الطمع العلم يقيناً أنه ليس من شيء يُطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره، ولا يُؤتي العبد منها شيئاً سواه[2].

(١) مسند أحمد، ٣٢/ ٣٨٤ (١٩٦٠٦)، قال الألباني: حسن لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٦).
(٢) انظر: الفوائد لابن القيم ص٢٦٧-٢٦٨.

المقوم الثاني
سلامة العقيدة

❑ أولاً: مفهوم سلامة عقيدة الدعاة:

والمقصود أن تقوم عقيدة الدعاة على إقامة التوحيد لله تعالى، والتنقية من الشركيات والمخالفات العقدية، وذلك بالتزام منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والإيمان بالغيبيات وباليوم الآخر، وسائر أركان الإيمان مما يقوم عليه التصديق الذي يتبعه العمل، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

إن سلامة الاعتقاد تعني أن يستقر في قلب الدعاة معنى وحقيقة شهادة: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويجري اللسان نطقاً بهما، تجري الأعضاء والجوارح تنفيذاً لمقتضاهما، بمعنى أن يتحقق توحيد الله ﷻ، وتوحيد شرعه - علماً وقولاً وعملاً.

وتعني أن يستقر في قلب الدعاة ويظهر على سلوكهم إيمانهم بأركان الإيمان جميعاً، وعدم الاقتصار على طلب علمها، أو ممارسة أعمالها في باب دون باب، وفي أصل دون أصل!

بل المطلوب تحقيق: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، مع تحقيق التلازم بين ربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، بجوانبها العلمية والعملية، والسعي لتطبيق الشريعة وتحقيق عقيدة الولاء والبراء(١).

---

(١) معنى العقيدة الصحيحة، مقال: للشيخ سعد ندى منشور على شبكة الألوكة، باختصار وتصرف.

إن دعوة الإسلام لا تقبل من الدعاة ظناً أو شكاً في عقيدتهم بل لا بد أن يكون كل داعية صاحب عقيدة صحيحة ليس فيها انحرافات أو شكوك.

❑ ثانياً: أهمية سلامة العقيدة في حياة الدعاة:

من أول الواجبات على الدعاة أن يعملوا على إصلاح عقيدتهم، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩].

قال شيخ الإسلام: «فبالتوحيد يقوى العبد ويستغني.. وبالاستغفار يُغْفَر له ويدفع عنه عذابه... فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد، فإنه لا بد منه، وإذا لم يحصل له لم يزل فقيراً محتاجاً معذباً في طلب ما لم يحصل له، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار حصل له غناه وسعادته، وزال عنه ما يعذبه»(١).

فالتوحيد عمدة الأصول التي ينطلق منها الدعاة في إصلاح نفوسهم وإصلاح المدعوين الذين يدعوهم إلى دين الله، وهو المنطلق الأساسي في الإسلام، إذ يدعونهم ينبني عليه، و هو المحور الرئيس للإيمان، فلا يتحقق إلا بها.

ويمكن إجمال أهمية سلامة عقيدة الدعاة في النقاط التالية:

١- إذا سلمت عقيدة الدعاة فإنَّ كلَّ شيء بعدها سيكون سليماً؛ فما بُني على حق كان حقّاً، وما بُني على باطل كان زهوقاً.

٢- سلامة عقيدة الدعاة فهماً وعملاً، يعود عليهم صلاحاً في الظاهر والباطن.

٣- العقيدةَ المشوَّشة تنتج أفكَاراً شاذة تنادي بأنْ لا عَلاقَةَ للدين بالدنيا، وأن كلاهما منفصلٌ، ولا داعيَ للدمج بينهما، أو إقحام الدين -على حَدِّ قولهم- في مجريات الدنيا، فهذه نقرة، وتلك نقرة، ولا جمع بينهما.

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٥٦.

٤- العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل الصالح.

٥- الدعاة بلا عقيدة صحيحة يكونون فريسة للأوهام والشكوك.

٦- الدعاة بلا عقيدة صحيحة سيفتقدون للنجاح والتوفيق والسعادة في عملهم لله تعالى.

❑ ثالثاً: مظاهر سلامة العقيدة في حياة الدعاة:

فمن من أهم مظاهر سلامة الاعتقاد في حياة الدعاة:

١- أن لا يسأل الدعاة أحد إلا الله، وألا يستعينوا إلا بالله، وأن يعلموا ويوقنوا ويعتقدوا بأن النافع والضار هو الله، وذلك لقوله ﷺ: **(احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)**[(١)].

٢- التجاء الدعاة إلى الله وتفويض الأمر وحده، كما في قوله تعالى عن مؤمن آل ياسين ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤].

٣- الدعوة إلى هذه العقيدة، وتبصير الناس وتعليمهم إياها والاهتمام بها وجعلها من الأولويات في الدعوة فهماً وإيماناً، شعوراً وسلوكاً، الأولويةَ المطلقة على ما سواها.

٤- إن سلامة العقيدة لدى الدعاة تجعلهم يدعون إليها بشمولية فلا يغلبون جانب عقدي على جانب آخر، فيؤكدون على توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وجميع أركان الإيمان.. ويحاربون الشرك بجميع أنواعه، ويحذرون من المكفرات المخرجة من الملة.

---

(١) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب ٩٥ (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

❑ رابعاً: من مظاهر ضعف العقيدة عند الدعاة:

١- اعتقاد النفع والضر بيد فلان، والخوف من فلان أو فلان مما يمنعه من قول الحق، أو الرجاء في فلان أو فلان مما يجعل قلبه يتعلق بغير الله تعالى.

٢- التقليل من شأن العقيدة؛ بعدم اعطائها أولوية في الخطاب الدعوي والتربية الدعوية، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٣- التأثر بما يبثه أعداء الإسلام وأعداء التوحيد؛ وموالاتهم وحبهم ومداهنتهم والتقارب معهم، كما يدعون إلى التقارب بين الأديان.

❑ خامساً: وسائل معينة على سلامة العقيدة:

١- العلم بالعقيدة الصحيحة، وهذا لا يحصل إلا بالتعلم وأخذ علوم العقيدة من علمائها الثِّقات.

٢- المعرفة بنواقض العقيدة التي تخرجه من الدين كليًّا أو جزئيًّا.

٣- الحذر من أن تتحول قضية التوحيد إلى مجرد حفظ آلي حرفي جاف، بعيداً عن التأثر القلبي، فلابد من وظهور آثرها على الجوارح والسلوك والأخلاق.

٤- التفكر في أسماء الله وصفاته والعمل بمقتضاها، فمثلاً أن يعتقد الدعاة بأن المعز والمذل والمالك للملك هو الله وهو المعطي وهو المانع، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

٥- الحذر من الانجراف إلى فلسفات أو نظريات، يكون من شأنها زعزعةُ العقيدة، والانهزامية والتمييع لأمور الدين، كمن يقولون بديموقراطية الإسلام واشتراكية الإسلام.. والإسلام بريء من ذلك.

٦- مراقبة الدعاة دائما لأنفسهم وعقيدتهم، فلربما يفاجؤون بأنَّها تحمل بين طياتها -دون أن يدروا- ما ينقص من سلامة عقيدتهم أو متانتها، أو على الأقل يُشوِّش علاقتهم بربهم وخالقهم.

٧- الثقة الكاملة في أن عقيدةَ الإسلام هي الراسخةُ غيرُ المشوبة ولا المعيبة، منزلة من ربٍّ عظيم خَلَقَ فسوَّى، وقدَّر فهدى.

٨- لا يكون الدعاة إمعاتٌ يعتقدون ما يعتقده بعض الناس في الأفهام الخاطئة والمعتقدات الزائفة، وليكونوا مميزين بعقيدة صافية لا يشوبها شكٌّ ولا ريب.

المقوم الثالث
الاتباع لا الابتداع

أولاً: حقيقة الاتباع وأدلته:

المقصود من هذا المقوم: «الاهتداء بالكتاب الكريم والسنة النبوية، والتأسي بما سار عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم بقية السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، وعدم الخروج من هذا المسار»(١).

فحقيقة الاتباع: تصديق النبي ﷺ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعارض الأمر والنهي بترخص جاف، ولا بتشدد غالٍ، ولا يحملا على علة توهن الانقياد(٢).

إن توحيد المتبوع ﷺ يأتي بعد توحيد المعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالاتباع شرط القبول الثاني بعد تجريد الإخلاص، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**(٣). وقال: **(إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)**(٤).

---

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية ١/ ٢٩٧.

(٢) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص٥٩.

(٣) أخرجه البخاري تعليقاً في البيوع، باب النجش، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة (١٧١٨).

(٤) سنن ابن ماجه، مقدمة الكتاب، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين برقم (٤٢)، ومسند أحمد ٢٨/ ٣٧٣ (١٧١٤٢) وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح ورجاله ثقات.

○ ثانياً: أهمية الاتباع:

١- الاتباع الصادق سبيل إقامة الأمر، وحصول الأجر، والأمن من الفتنة ومغفرة الوزر، قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

٢- الاتباع دليل محبة الله ﷻ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

٣- الاتباع سبيل النجاة من الابتداع والافتراق في الدنيا، وفي الآخرة من النار والعذاب، فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: **(وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)**[(١)].

○ ثالثاً: أهمية الاتباع في الدعوة وعدم الابتداع فيها:

الاتباع في أمر الدعوة أمر واجب وحتم لازم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

«فحيث إن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الوظائف الدينية ومن أفضل القربات الشرعية، كان على الداعي إلى الله أن يحرص على اتباع السنة والبعد عن البدعة في موضوع دعوته وأسلوبها، فيقدم الموضوعات المشروعة ويتجنب المحدثات والبدع

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الإيمان، باب ١٨ ما جاء في افتراق الأمة (٢٦٤١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٩٤٤ (٥٣٤٤).

فلا يدعو إليها، بل يحذر منها وينبه إليها»[١].

فسبيل البدع والشبهات والضلالات من أخطر ما يهدد الدعوات، فلا يملك الدعاة في منهج الدعوة وأصولها ومسالكها إلا أن يأخذوا بسنن الهدى وأن يجتنبوا سبل الردى، إذ البدعة اتهام لمقام النبوة بالخيانة في أداء الأمانة، فهي تستدرك على الشريعة تهمة لها أو مضادة لأصلها[٢].

رابعاً: مقتضيات الاتباع والابتداع في الدعوة:

«فعلى الدعاة الأخذ بالنصوص وعدم إهمالها، وترك المبتدعات في مسار الدعوة، والعناية بالنقل وتقديمه على العقل»[٣].

ولا بد أن «يحرص الداعي على استعمال الوسائل والأساليب الشرعية، والبعد عن السبل غير المشروعة، أو التي تخالف أصول الدين وقواعده الكلية؛ لأن الوسائل لها حكم المقاصد، فلا بد من سلوك السبل المباحة التي لا تخالف الشرع لتحقيق مقاصد الدعوة الإسلامية، وكون المقصد سامياً ونبيلاً لا يبرر سلوك الأساليب المحرمة أو التي تخالف الشرع.

ولا يعني ذلك الاستدلال لكل وسيلة دعوية بدليل مخصوص من الكتاب أو السنة وإلا صارت الوسيلة غير مشروعة! وإنما يستعمل الدعاة في دعوتهم الوسائل المباحة المتاحة في كل عصر بشرط ألا تخالف الشرع؛ لا أن ينص عليها الشرع، لأن الأصل في الوسائل الإباحة، ولا يُمنع منها إلا ما خالف الدين، ودليل ذلك عموم

(١) مقال بعنوان الاتباع لا الابتداع في الدعوة، د. خالد الربيع منشور على موقع الفرقان.
(٢) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص٦٠.
(٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية أ. د. عبدالرحيم المغذوي ١/ ٢٩٧.

قوله ﷻ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ [الحج: ٦٧]، ولم يقيد سبحانه ذلك بوسيلة معينة وإنما وضع ضوابط عامة كالحكمة.

ومنها قول النبي ﷺ: **(إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها)**[١] فالأشياء المسكوت عنها محمولة في الشرع على السعة والفضل.

فهناك فرق دقيق بين البدع في الدين وهي المذمومة شرعاً، والمصالح المرسلة التي لم يرد دليل على اعتبارها ولا إلغائها فتكون محل نظر، فإذا أدت إلى مصالح خالصة أو راجحة كانت مشروعة وإلا صارت ممنوعة، والوسائل الدعوية من هذا الباب»[٢].

«ولا بد للداعية من حسن الاقتداء وكمال الاهتداء، والحذر من اتباع الهوى، مع جواز الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص قاطع أو إجماع، مع الحذر من الزلات، وضبط مسائل الخلاف والاختلاف، بالعناية بمنهج الاستدلال، وفقه الدليل لكي تنضبط الفتوى، ولا بد من التفريق بين البدع المحدثة والمصالح المرسلة، والجمع بين الاتباع العلمي والعملي.

مع التنبيه إلى أن جواز التمذهب بلا تعصب، وتقديم الراجح بدليله بلا تردد، والعالم المنتهي فرضه الاجتهاد، والعامي فرضه التقليد، فمذهبه مذهب من أفتاه»[٣].

---

(١) سنن الدارقطني ٥/ ٥٣٧ (٤٨١٤)، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ١٢٩ (٧١١)، المعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ١٨٣ (٥٨٩)، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد: ١/ ١١٧، وقال ابن حجر: رجاله ثقات إلا أنه منقطع، انظر: المطالب العالية ١٢/ ٤١٦).

(٢) مقال بعنوان الاتباع لا الابتداع في الدعوة، د. خالد الربيع منشور على موقع الفرقان، باختصار.

(٣) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص٦٤ باختصار.

المقوم الرابع
العلم الشرعي

العلم من أعظم مقوّمات الدعاة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

وقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله تعالى لهذه الآية بقوله: «باب: العلم قبل القول والعمل»(١).

وذلك أن الله أمر نبيه محمد ﷺ بأمرين: بالعلم، ثم العمل، والمبدوء به العلم في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ثم أعقبه بالعمل في قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، فدلَّ ذلك على أن مرتبة العلم مُقدَّمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل(٢).

وقد مدح الله ﷻ أهل العلم وبيَّن فضلهم، وأثنى عليهم، قال سبحانه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١].

ولهذا قال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)(٣).

فيجب أن يكون الدعاة على بيّنة فيما يقومون به؛ قال سبحانه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، قبل الحديث رقم (٦٨).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر ١/ ١٦٠، وحاشية ثلاثة الأصول للشيخ عبد الرحمن بن قاسم ص١٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (١٠٣٧).

والعلم الصحيح مرتكز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأن كل علم يتلقَّى من غيرهما يجب أن يعرض عليهما، فإن وافق ما فيهما قُبل، وإن كان مخالفاً وجب ردّه على قائله كائناً من كان[(١)].

فالعلم الشرعي مقومٌ أساسيٌّ للداعي إلى الله، فهو يجعله على بصيرة بما يدعو إليه واثقاً فيه مطمئن إليه، مطبقاً له وثابتا عليه، مدافعاً عنه، وهذا كله يعطيه مصداقية بين من يدعوهم إلى الله[(٢)].

مع التركيز في العلم على العلم النافع الذي يقيم به الداعية دينه، ويقيم به دين أمته ومجتمعه، وهذا يجعل الداعية حريصاً على تلمس جوانب النقص في نفسه ومجتمعه، ويتعلم ما يسدُّ ذلك النقص، مبتعداً عن غرائب المسائل وما لا يترتب على العلم به عمل.

«فالداعي إلى الله ينبغي له أن يتمكن من:

١- معرفةٍ صحيحةٍ بالمسائل الاعتقادية.

٢- وإلمامٍ وافٍ بالأحكام الشرعية العملية، وطرائق استنباطها.

٣- معرفة أصول الاجتهاد والفقه الدعوي.

٤- دراسة تاريخ الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها وعقباتها ومعوقاتها، وما يرتبط بالواقع من دراسات تمس هذا التخصص.

فلا غنى عن اجتماع العقيدة والشريعة والمنهج والسيرة والتاريخ، والأسلوب العلمي الأمثل لتتحقق البصيرة؛ وبذلك كله يكتمل بنيان هذا العلم»[(٣)].

(١) ينظر: زاد الداعية إلى الله للعلامة ابن عثيمين ص٦.
(٢) سيأتي الحديث في الباب القادم عن العلم الذي يحتاجه الداعية.
(٣) مبادئ في علوم أصول الدعوة ص٤٩ بصرف يسير.

ونختم بقول الحسن البصري: «فالعامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بترك العبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بترك العلم، فإن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم؛ حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا»[١].

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٦٨٢ وقال: خرجه ابن وهب بسند مقطوع عن الحسن.

المقوم الخامس
الفهم الصحيح

أولاً: أهمية الفهم الصحيح في الدعوة:

إن الداعية يقوم في دعوته على حسن استخدام فهم القرآن الكريم كما أراده الله ﷻ، والسنة النبوية كما وردَ عن النبي ﷺ فهماً دقيقاً، وفقهاً مركزاً، وذلك يكون بمراعاة الأسس والضوابط الشرعية، والالتزام بالأحكام والتوجيهات الربانية إيماناً وعملاً ودعوة.

«إن الفهم الشمولِيَّ الصحيح للإسلام أمرٌ ضروري ورئيسيٌّ في صحَّة المنهج وسلامتِه واستقامته؛ لأنَّ الإسلام دينُ الله تعالى وشريعته، وهو الدِّين الباقي إلى يوم القيامة، ولأنَّ الله تعالى وعَد الأُمَّة الإسلامية -إذا استقامت على منهج الله وشريعته وحُكمِه- أن يُمكِّنها في الأرض، ويرفع شأنَها، ويؤتيها خيريَّتَها.

ومِن هنا نعلم أنَّ الانحراف عن الفهم الصَّحيح لمنهج الإسلام لن يوصل إلى ذلك النَّصر المنشود، ولن يؤدِّي إلى ذلك التمكين الموعود، ولو بقي الدُّعاة في دعوتهم عشراتِ السِّنين؛ لأنَّهم ما أحسنوا فَهْمَ الإسلام، وما أحسنوا تبليغ رسالته الصحيحة الكاملة للعالَمين، فحينَها لن يقوم نصرٌ ولا تَمكين ولا حكم شرعي؛ لأنَّ قاعدة الإسلام مشوَّهة ومنقوصة، وفيها من البِدَع والأهواء الشيءُ الكثير، والتي يستحيل معَها قيامُ دولةٍ ومُجتمع إسلاميٍّ صحيح»(١).

---

(١) الفهم الشمولي الصحيح للإسلام، مقال، د. عاطف الفيومي، منشور على شبكة الألوكة، مختصراً.

فالفهم السليم يتيح للداعية التعامل الصحيح مع المعلومات وإدارتها بطريقة سليمة، ويتيح له التفكير المنظم في مشكلاته التي تواجهه، ويتيح له فهم الأحداث والواقع فهما سليماً متزناً.

«وسلامة الدعوة تكون نتيجة للفهم السليم للشريعة، بمبادئها وأصولها وثوابتها وأهدافها وغاياتها، وكذلك للواقع بطبيعته ومكوناته ومؤثراته وإفرازاته»[(١)].

لذلك كانت نعمة الفهم السليم مع حسن القصد من أعظم نعم الله على العبد، كما قال ابن القيم: «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبدٌ عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجلُّ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمدّه حسن القصد وتحرّي الحق وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوى»[(٢)].

كما أن سوء الفهم أصل كل بلية، يقول ابن القيم: «سوء الفهم عن الله ورسوله ﷺ؛ أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول و الفروع، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد»[(٣)].

(١) نواسف الفهم السليم، مقال، د. جمال زواوي، منشور على الشبكة الدعوية.
(٢) إعلام الموقعين ١/ ٦٩.
(٣) الروح لابن القيم ص ٦٣.

«فالتحرك السليم نتاج الفهم السليم، والتحرك الخاطئ نتاج الفهم الخاطئ، وقد تُرفضُ في كثير من الأحيان أفكارٌ سليمةٌ ومواقف حكيمة!! بسبب الفهم الخاطئ والسقيم لها»[١]، كما قال الشاعر:

وكم من عائب قولا سليما وآفته من الفهم السقيم[٢]

ثانياً: أدلة أهمية الفهم الصحيح:

وقد جاءت الإشارات العديدة في كتاب الله تبارك وتعالى لأهمية العقل، وتكررت الدعوة لإعمال العقل كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وهذا يتطلب الاعتناء بتنمية العادات العقلية الجيدة، واكتساب مهارات التفكير وتنميتها، ببرامج ممنهجة ومنظمة ترتقي بتفكير وعقول الدعاة، بعيدة عن الانحرافات الفكرية، وبذلك يضبط الداعية تفكيره واتجاهاته ولا يتأثر بكل ناعق.

ومما يدل دلالة واضحة على أهمية الفهم السليم، أن الأئمة رضي الله عنهم كانوا يهتمون كثيراً بالفهم الجيد، فهذا الإمام أحمد يجلس عند شابٍّ يطلب منه العلم فسأله أحد أصحابه: «يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة عنده الزهري وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة والتابعون ما الله به عليم!! فقال له: اسكت. **فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول، ولا يضرك في دينك ولا في عقلك، وإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة!!** ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله عز وجل من هذا الفتى القرشي. فقال: من هذا؟ فقال الإمام: هو محمد بن إدريس الشافعي»[٣].

(١) نواسف الفهم السليم، مقال، د. جمال زواوي أحمد، منشور على الشبكة الدعوية.

(٢) هذا البيت للمتنبي، انظر محاضرة الأدباء للراغب الأصفهاني١/ ٦٣.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/ ٢٠٣ باختصار.

وقال سعيد بن الحداد المالكي: «ليس الفقه حمل الفقه، وإنما الفقه معرفة الفقه والفطنة فيه، والفهم بمعانيه»(١).

ثالثاً: وسائل الفهم السليم(٢):

١- الإخلاص لله تعالى:

فالعمل لدعوة الله الغاية منه مرضاته عز وجل، والمقصود به وجهه سبحانه، فإن قصد به غير ذلك، ودخلت فيه الأهواء الجانحة، والشهوات الخفية، والنزوات الدفينة، أظلمت القلوب، واختلت العقول، وطاشت الإفهام، وهنا تتأثر الدعوة، وتتعثر المسيرة.

٢- العلم:

مستحيل أن يفهم الإنسان شيئاً يجهله، أو لا يعلم منه إلا القليل، والجهل بقواعد الدعوة وأصولها وثوابتها وأبجدياتها، قد يؤدي إلى معاداتها والإضرار بها من حيث يراد نفعها، إن على مستوى التبليغ والاستيعاب، أو على مستوى النشاط والممارسة، لأن من جهل شيئا عاداه، قال سهل بن عبدالله التستري: «ما عُصِيَ الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل، قيل له: يا أبا محمد هل تعرف شيئا أعظم من الجهل؟ قال: نعم، الجهل بالجهل»(٣).

فالعلم يؤدي للفهم السليم، ويقلل دوائر الخلاف، وقلة العلم والفقر المعرفي والثقافي، تضيّق مساحة التصور، وتمنع من النظر إلى المسألة أو الموقف أو المشكلة من كل جوانبها، وتحجب الرؤية السليمة والعميقة والمتكاملة، ممّا يؤثر سلبا على سلامة الفهم وصحته.

(١) رياض النفوس في طبقات العلماء ٢/ ٦٩.
(٢) نواسف الفهم السليم مقال. د. جمال زواوي أحمد، منشور على الشبكة الدعوية، باختصار وتصرف.
(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٦٩.

٣- التجرد للحق وعدم اتباع الهوى:

فإن اتباع الهوى يصدُّ عن الحق، بحيث تظهر الأدلَّة المقنعة والحجج الدامغة، لكن صاحب الهوى لا يقنعه كل ذلك، ويترتب عليه فساد العقل، كما قال الشاعر:

إنَّ الهوى يفسد العقل السليم ومن   يعصي الهوى عاش في أمن من الضرر

ويترتب على ذلك حرمان التوفيق في الفهم والسلوك والممارسة، فقد قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات، انقطعت عنه موارد التوفيق»[(١)].

ومن انقطع فكيف يوفق إلى فهم سليم؟!

٤- الرفق والحلم:

فالتأنِّي والتريث، يؤدي إلى صواب الفهم وما يصدر عنه من رأي، يقول ابن الجوزي: «ما اعتمد أحد أمراً إذا همَّ بشيء مثل التثبت، فإنه متى عمل بواقعة من غير تأمل للعواقب؛ كان الغالب عليه الندم، ولهذا أُمِرَ الإنسان بالمشاورة، لأن الإنسان بالتثبت يطول تفكيره، فتعرض على نفسه الأحوال وكأنه شاور»[(٢)].

٥- الحرص على التعمّق في النصوص:

إن عدم التعمق في فهم الأفكار والمعاني مرض اشتكى منه علماؤنا قديماً، حيث قال ابن الجوزي: «فأقلُّ موجود في الناس؛ الفهم والغوص في دقائق المعاني»[(٣)].

والسطحية في التعامل مع الأفكار والآراء والمواقف والأحداث؛ تجعل العقل لا يستوعب بالطريقة الصحيحة، ومِن ثَمَّ لا تكتمل الصورة لديه، فلا يتعمق ولا يدقِّق، فينتج

(١) روضة المحبين ص٤٧٩.
(٢) صيد الخاطر ص٣٨٥.
(٣) صيد الخاطر ص٤٨٦.

عنها فهمٌ غير سليمٍ وسطحي وقاصرٍ، فيبني عليه مواقف وأحكاماً تكون عواقبها وخيمة على الفرد والمجموع، لأن ضعف الفهم نتيجته ضعف كلّ ما يرتبط به ويبنى عليه.

٦- ترك الحقد والحسد:

إن سلامة الصدر ونقاء القلب وصفاء السريرة وراحة البال وطهارة النفس؛ كلها دوافع إلى الفهم والتفكير بشكل صحيح.

والصدر الضيق يهدم ما يمكن أن يبنيه العقل الواسع، ويؤدي إلى طغيان الأحقاد على القلب، وتجعل صاحبه كثير الاضطراب شديد الظلمة، وإذا اشتدت ظلماته بسبب دفعات الأحقاد المتتالية عليه، صدَّرها بدوره إلى العقل، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة، وتحرمه الفهم السليم، وتمنعه التقدير الصائب.

٧- الثقة بالله وعدم اليأس:

فإن اليأس يمنع الرؤية، فينعكس على الأفكار والأشخاص والأشياء، فتنتقل الصورة القاتمة المترسخة -جرَّاء غلبة منطق اليأس والقنوط والتشاؤم عليه- إلى طبيعة فهم الأمور، فيحرم بذلك الإصابة والرزانة والموضوعية، تكون بينه وبين الفهم السليم والنظرة الصائبة والتقدير الصحيح حجبا كثيفة تسد أفقه، وتظلم الدنيا من حوله وإن كانت ملأى بالأنوار والآمال.

٨- الطاعة وترك الذنوب والمعاصي:

وتأثير ذلك على الفهم واستيعاب العلم، أمر لا يختلف عليه اثنان في الميزان الإسلامي، كما ذكر ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الميزان بقوله:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... ويورث الذل إدمانِها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

فإذا مات القلب اختل العقل واضطرب التفكير، فينحرف بذلك التقدير والفهم.

قال الإمام ابن الجوزي: «رب شخص أطلق بصره فحرم اعتبار بصيرته، أو لسانه فحرم صفاء قلبه، أو آثر شبهة في مطعمه فأظلم سره وحرم قيام الليل وحلاوة المناجاة»(١).

وقال شاه الكرماني: «من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشبهات، وعمّر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعوَّد نفسه أكل الحلال، لم تخطيء له فراسة»(٢).

٩- الوسطية وترك الغلو والتشدد:

إنما يوفق إلى الفهم الصائب والسليم بمقدار المحافظة على الاعتدال والوسطية، فقد جاء في الحديث: **(يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)**(٣).

فإن الجنوح إلى الغلو والتشدد يعتبر من أكثر ما يؤثر على الفهم السليم، ويحوله لدى الغالي إلى تنطع في اختياراته العلمية والعملية وكذا في المواقف والمعاملات، وقد عدَّ ﷺ هذا المسلك من موجبات الهلاك في قوله ﷺ: **(هلك المتنطعون قالها ثلاثاً)**(٤).

والمتنطعون هم: «المتعمقون، الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»(٥).

(١) صيد الخاطر ص٥٢.

(٢) الاعتصام ١/ ٧٢.

(٣) الشريعة للآجري ١/ ٢٦٨، السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٣٥٣ (٢٠٩١١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٨٢ (٢٤٨).

(٤) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٢٦٧٠).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٢٢٠.

فالغالي يظهر سوء فهمه وانحرافه جليًّاً في سلوكه، بحيث تجده يريد مالا يكون ويطلب مالا يوجد، ويتخيل مالا يقع، ويفهم الوقائع على غير حقيقتها.

ولعل معظم مصائب الفرق المنحرفة التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، نتجت عن خيارات الغلو والتشدد، إن بشكل عام أو في قضية محددة، فالفكر الخارجي على سبيل المثال لا الحصر، لم يؤت أصحابه من فساد ضمائرهم، وإنما أوتوا من فساد تفكيرهم وسوء فهمهم واعوجاج فقههم.

١٠- الحلم وترك الغضب:

إذا استطاع الإنسان أن يملك نفسه، استطاع أن يفكر بشكل سليم، «فقد قيل لحكيم: متى يملك الإنسان نفسه؟ قال: إذا لم تذله الشهوة، ولم يصرعه الهوى، ولم يغلبه الغضب»[(١)].

فإن سرعة الغضب يغيّب العقل بالكامل، فلا يتمكن من الفهم السليم، كما قال ابن عقيل الحنبلي: «قلَّ أن يصحَّ رأي مع فورة طبع، فوجب التوقف إلى حين الاعتدال»[(٢)].

وقد بيَّن الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلاقة الوثيقة بين الغضب وتغييب العقل، ومن ثَمَّ غياب الفهم السليم، فقال: «مهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها، أعمت صاحبها وأصمَّته عن كل موعظة، فإذا وُعِظَ لم يسمع، بل زاده ذلك غضباً، وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر، إذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب»[(٣)].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٢٠.
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ص ١٦٠.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٢٢.

فالشخص الغضوب كثيراً ما يذهب به غضبه -وإن كان من أهل الصلاح- إلى حرمانه من الرأي الحصيف، وإفساد الأمور في ظل غيبة وعيه، لذلك كان ضبط النفس والتحكم فيها عند سوران الغضب واستشاطته؛ دليلاً لا يخطئ على رجاحة عقل المرء وقوة تماسكه، وقدرته على البلوغ وخوض الملمات، والتعامل مع المنعطفات الكبرى والأحداث العظيمة بشكل سَوِيٍّ وطريقة مُثلى.